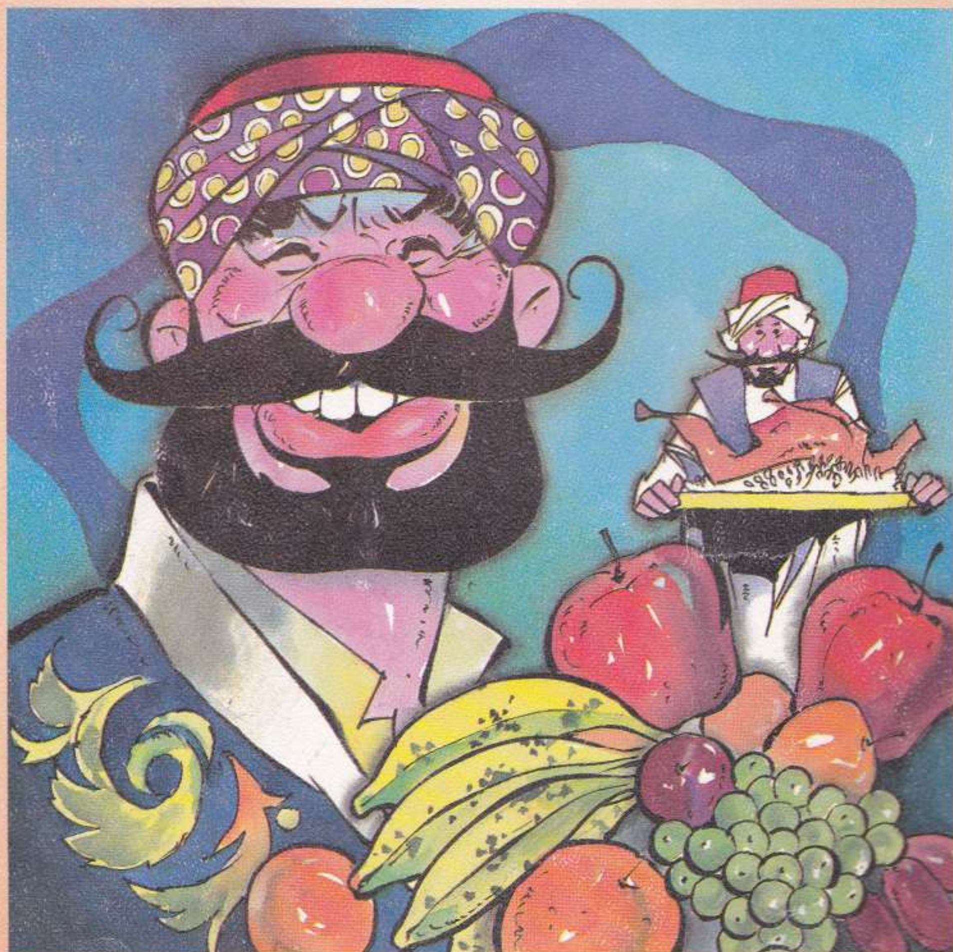
مَكتَبة
العُصْفُور الصَّغير

٨

الدَّرسُ العَظِيم

مَجْدي صَابر



دَارُ الجيل

مَكْتَبَة
العُصْفُور الصَّغير
(٨)





الدَّرسُ العَظيم

تأليف : مَجدي صابر

رسوم : عِفَّتْ حُسْني

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

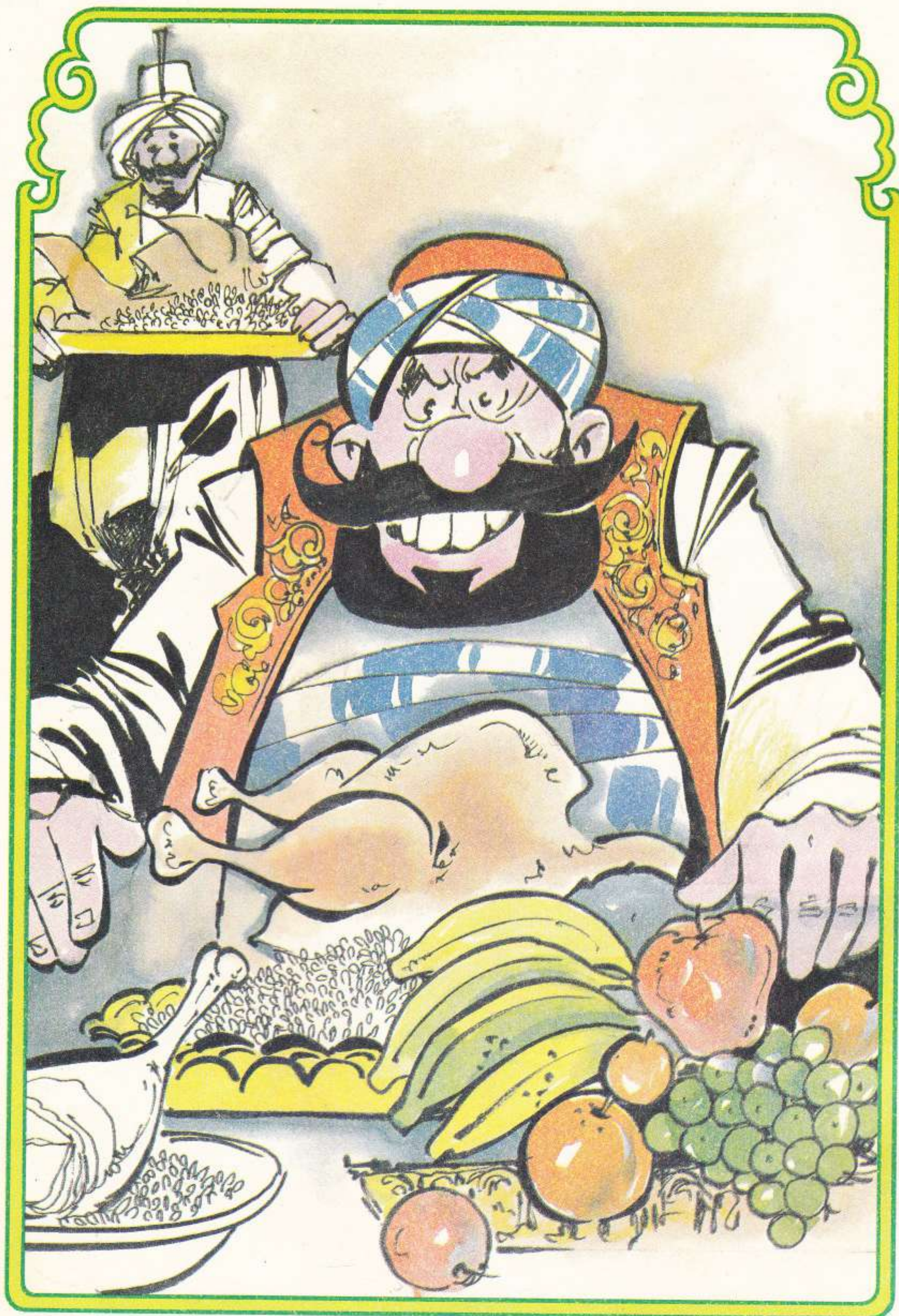
دارُ الجيل
بيروت

دارُ الجيل
القاهرة

كَانَ لإِقْطَاعِيٍّ ثَرِيٍّ قَصْرٌ عَظِيمٌ وَأَرْضٌ شَاسِعَةٌ وَأَمْوَالٌ كَثِيرة. وَكَانَ قَصْرُهُ يَقَعُ وَسْطَ قَرْيَةٍ كَبيرَةٍ يَعِيشُ فِيهَا الكَثِيرُ مِنَ الفُقَرَاء. وَيَعْمَلُ أَغْلَبُهُمْ فِي مَزَارِعِ الثَّرِيِّ، بِأَجْرٍ لَا يَكَادُ يَمْلأُ بُطُونَهُمْ.

وَكَثِيراً مَا حَلَّ الجُوعُ بِأَحَدِ الفَلاَّحِينَ الأُجَرَاءِ، فَيَطْرُقُ بَابَ القَصْرِ، طَالِباً كِسْرَةَ خُبْزٍ لأَوْلاَدِهِ، أَوْ كِسَاءً أَوْ دَوَاءً. وَلَكِنَّ الإِقْطَاعِيَّ كَانَ يَطْرُدُهُ شَرَّ طَرْدَةٍ، وَيَتَوَعَّدُهُ بِالسِّجْنِ والجَلْد.

وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ كَانَ الإِقْطَاعِيُّ الثَّرِيُّ يُقِيمُ الوَلاَئِمَ والمَآدِبَ، لأَصْدِقَائِهِ مِنَ العُظَمَاءِ والأَعْيَانِ، دُونَ أَنْ يُفَكِّرَ فِي إِطْعَامِ جِيرَانِهِ الفُقَرَاء.



وَذاتَ يَـوْمٍ كَـانَ الإِقْـطَاعِيُّ الثَّـرِيُّ يَسْتَعِـدُّ لإِقَامَةِ وَلِيمَـةٍ عَظِيمَـةٍ، دَعَا إِلَيْهَـا مِنْ خَارِجِ القَـرْيَـةِ، الكُبَـرَاءَ والعُـظَمَـاءَ، وَذَبَـحَ لأَجْلِهَـا الخِـرَافَ والعُجُـولَ والـدَّجَـاج. وَرَاحَ خَـدَمُـهُ يَطْهُونَهَا وَيَشْوُونَهَا فَوْقَ النَّـارِ اسْتِعْدَاداً لِلْعَشَـاء. فَـامْتَـلأَتْ أَبْهَـاءُ القَصْـرِ بِـرَائِحَـةِ الشِّـوَاءِ الَّتِي تَطَايَرَتْ فِي كُلِّ مَكَانٍ خَارِجَ القَصْر.

وَحَدَثَ أَنْ بَدَأَ المَطَرُ يَهْطِلُ فِي الخَـارِجِ وَاشْتَدَّ البَرْد. فَطَرَقَ بَابَ القَصْـرِ الدَّافِئِ رَجُـلٌ عَجُـوزٌ فَقِيرٌ، رَثُّ الثِّيَـابِ بَادِي الفَقْـرِ، أَجْهَـدَهُ طُولُ السَّيْرِ وأَضْنَتْهُ شِدَّةُ الجُوع .

وَعِنْـدَمَـا فَتَـحَ الخَـدَمُ أَبْـوَابَ القَصْـرِ العَظِيمِ ، سَأَلَ العَجُوزُ الفَقِيرُ صَـاحِبَهُ عَنْ لُقْمَـةٍ يَتَبَلَّغُ بِهَا لِيَسُدَّ جُوعَهُ، وَبَعْضَ النَّارِ يَتَدَفَّأُ بِهَا.



لَكِنَّ الإِقْطَاعِيَّ الثَّرِيَّ صَاحِبَ القَصْرِ تَنَاوَلَ حَجَراً قَرِيباً وَنَاوَلَهُ إِلَى العَجُوزِ سَاخِراً وَقَالَ: «فَلْتَأْكُلْ هٰذَا الحَجَرَ وَتَتَدَفَّأْ بِهِ.. فَلَيْسَ عِنْدِي غَيْرُهُ لأَمْثَالِكَ».

وَأَمَرَ الإِقْطَاعِيُّ بِطَرْدِ العَجُوزِ وإِغْلَاقِ أَبْوَابِ قَصْرِهِ فِي وَجْهِهِ. فَأَلْقَى الخَدَمُ بِالعَجُوزِ خَارِجَ القَصْر.

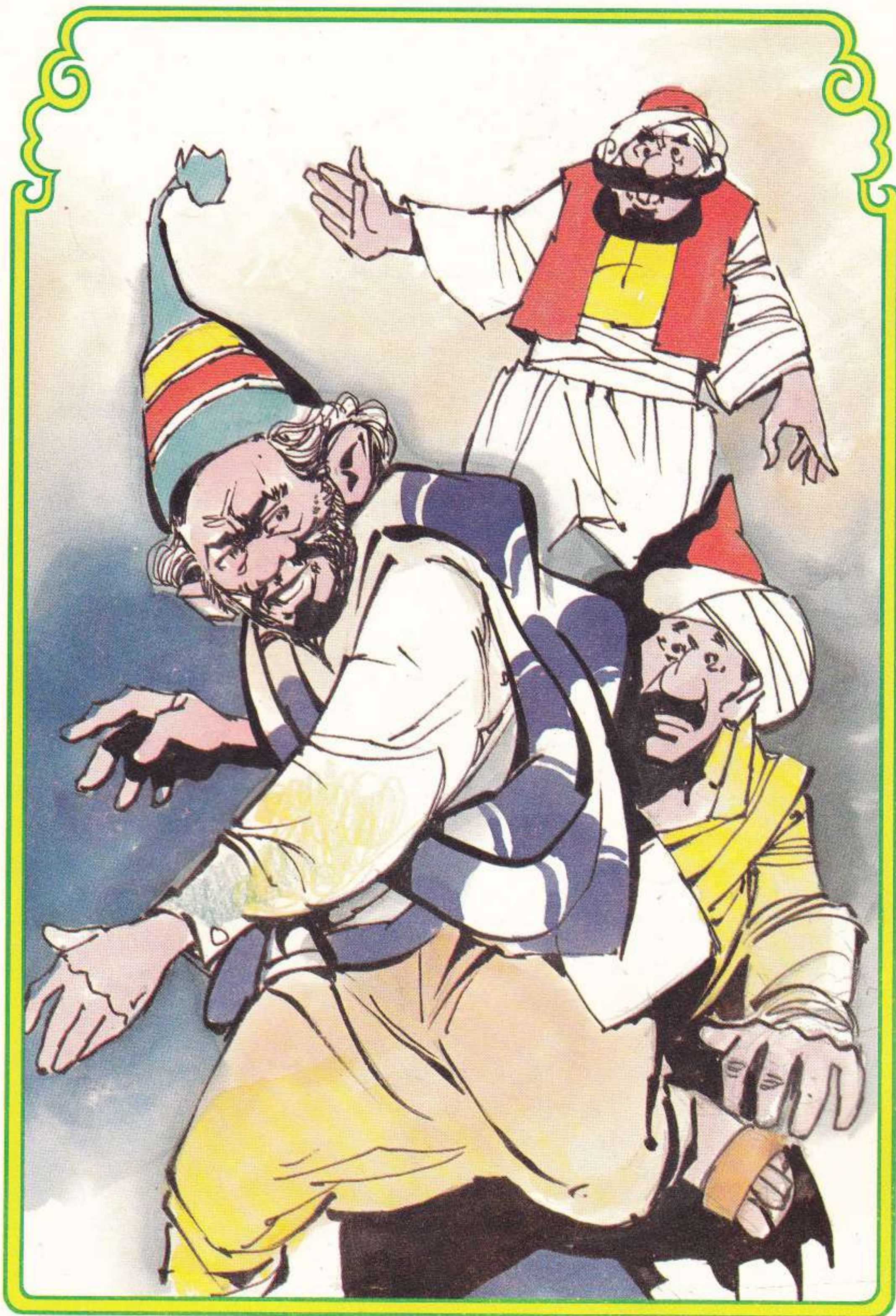
وَعِنْدَمَا عَادَ الخَدَمُ إِلَى القَصْرِ وَاسْتَعَدُّوا لِتَقْدِيمِ العَشَاءِ أَذْهَلَهُمْ مَا شَاهَدُوهُ. فَقَدْ تَحَوَّلَ الطَّعَامُ المَوْضُوعُ عَلَى النَّارِ إِلَى حِجَارَةٍ يَسْتَحِيلُ ابْتِلَاعُهَا أَوْ مَضْغُهَا، وانْطَفَأَتِ النَّارُ تَحْتَهَا. وَحَتَّى الحَطَبُ فِي المِدْخَنَةِ تَحَوَّلَ إِلَى حِجَارَةٍ أَيْضاً وانْطَفَأَتِ النَّارُ المُشْتَعِلَةُ فِيهِ، كَأَنَّهَا لَمْ تَمَسَّهُ أَبَداً.



وَعِنْدَمَا عَرِفَ الإِقْطَاعِيُّ الثَّرِيُّ بِمَا حَدَثَ أَصَابَهُ الذُّهُول، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَا بُدَّ أَنَّ السَّبَبَ فِيمَا حَدَثَ هُوَ ذَلِكَ العَجُوزُ الَّذِي طَرَدْتُهُ مُنْذُ قَلِيلٍ، وَأَعْطَيْتُهُ حَجَراً لِيَأْكُلَهُ وَيَتَدَفَّأَ بِهِ، بَدَلاً مِنْ أَنْ أُطْعِمَهُ وَآوِيَه.

وَصَاحَ فِي خَدَمِهِ يَأْمُرُهُمْ بِالبَحْثِ عَنِ العَجُوزِ الغَرِيبِ وَأَنْ يَأْتُوا بِهِ فَوْراً. فَانْطَلَقَ الخَدَمُ خَارِجَ القَصْرِ بَاحِثِينَ عَنِ العَجُوزِ، فَلَمْ يَعْثُرُوا عَلَيْهِ، فَعَادُوا خَائِبِينَ إِلَى سَيِّدِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِفَشَلِهِمْ.

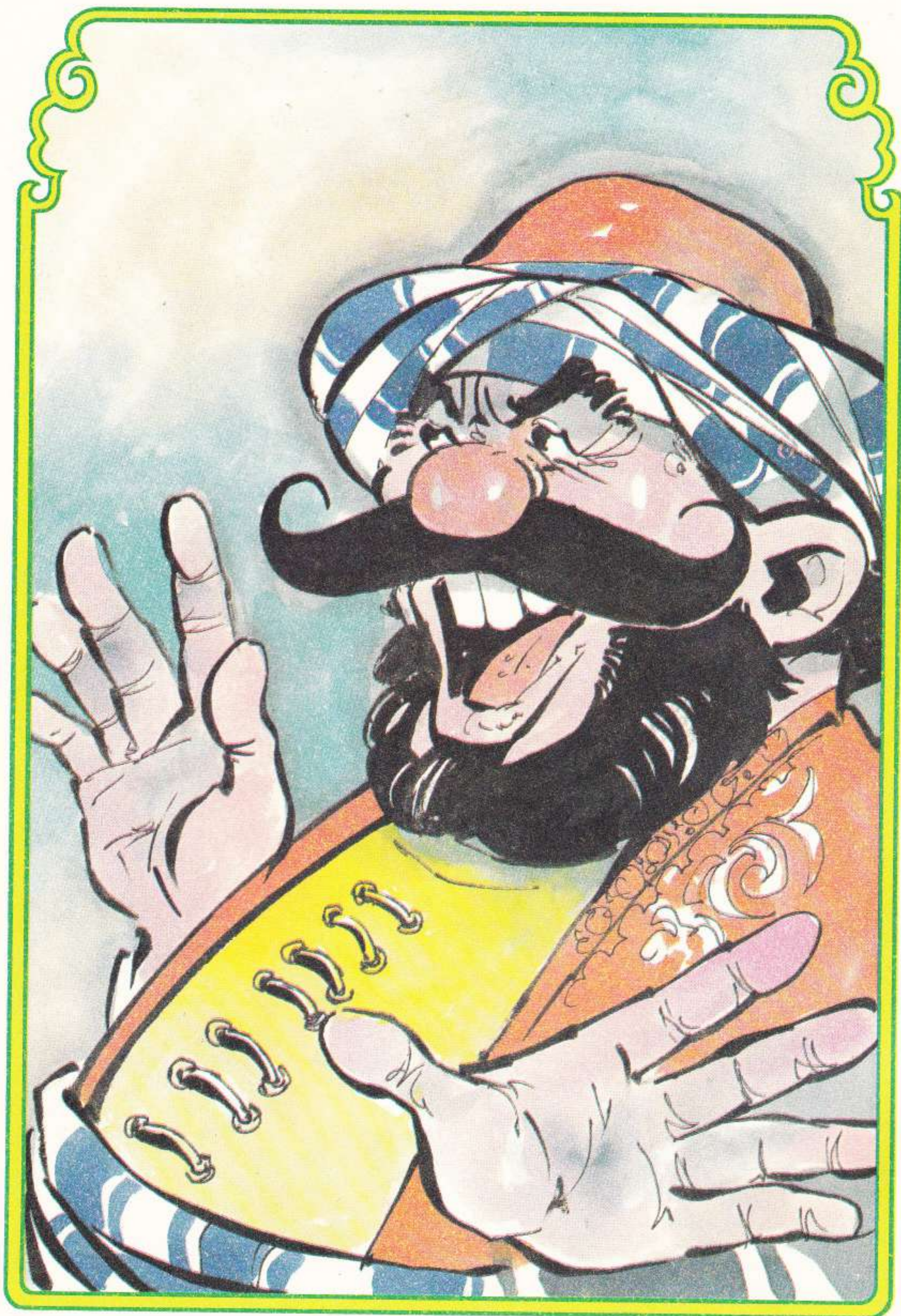
وَفَكَّرَ الإِقْطَاعِيُّ الثَّرِيُّ فِي نَفْسِهِ وَقَالَ: «إِنَّ ضُيُوفِي يَنْتَظِرُونَ الطَّعَامَ الآنَ.. وَلَيْسَ عِنْدِي مَا أُقَدِّمُهُ لَهُمْ غَيْرُ الحِجَارَةِ، فَمَاذَا أَفْعَلُ مَعَهُمْ، وَمَا الطَّعَامُ الَّذِي أُقَدِّمُهُ لَهُمْ؟».



وَأَمَـرَ خَدَمَـهُ قَائِـلاً: «فَلْتُسْرِعُـوا إِلَى القُـرَى المُجَاوِرَةِ أَوِ المَدِينَةِ القَرْيبَـةِ، لِتَشْتَرُوا مِنْهَـا كُـلَّ مَا نَحْتَـاجُ إِلَيْهِ مِنْ طَعَـامٍ». فَانْـطَلَقَ الخَدَمُ مُسْرِعِينَ، وَلَكِنَّهُمْ عَادُوا بَعْدَ قَلِيلٍ، وَقَـدْ غَرِقُـوا بِالمَاءِ واتَّسَخُوا بِالطِّين. وَقَالُوا: «يَا سَيِّدَنَا.. لَقَدْ سَدَّ المَطَرُ مَدَاخِلَ قَـرْيَتِنَا وَمَخَـارِجَهَا، وَاسْتَحَـالَ الدُّخُولُ إِلَيْهَا أَوِ الخُرُوجُ مِنْهَا».

فَفَكَّـرَ الإِقْـطَاعِيُّ الثَّـرِيُّ فِي نَفْسِـهِ بِقَلَقٍ شَـدِيدٍ وَقَـالَ: «مَـاذَا أَفْعَـلُ الآنَ.. وَمَـا الَّـذِي أُقَدِّمُهُ لِضُيُوفِي فِي العَشَاءِ؟».

ثُمَّ صَاحَ فِي خَدَمِـهِ: «فَلْتُسْرِعُـوا إِلَى كُلِّ الفَلَّاحِينَ وَالأُجَرَاءِ، وَتَأْتُونَ بِكُـلِّ ما فِي بُيُـوتِهِمْ مِنْ طَعَامٍ، وَلْتَدْفَعُوا لَهُمْ مِنَ المَالِ مَا يَطْلُبُونَ».



فَـانْطَلَقَ الخَـدَمُ مَرَّةً أُخْـرَى. ثُمَّ عَادُوا بَعْـدَ وَقَتٍ وَهُمْ يَقُـولُـونَ: «إِنَّ كُـلَّ الفَـلَّاحِينَ وَالأُجَـرَاءِ الفُقَرَاءِ يَـرْفُضُونَ أَنْ يَبِيعُـوا طَعَامَهُمْ، مِن الخُبْزِ اليَابِسِ والجُبْنِ القَدِيم. وَيَقُولُـونَ إِنَّ هٰـذَا هُـوَ طَعَـامُ أَوْلَادِهِمْ.. وَهُمْ لَنْ يَبِيعُـوهُ وَلَا بِمِقْدَارِ وَزْنِهِ ذَهَباً».

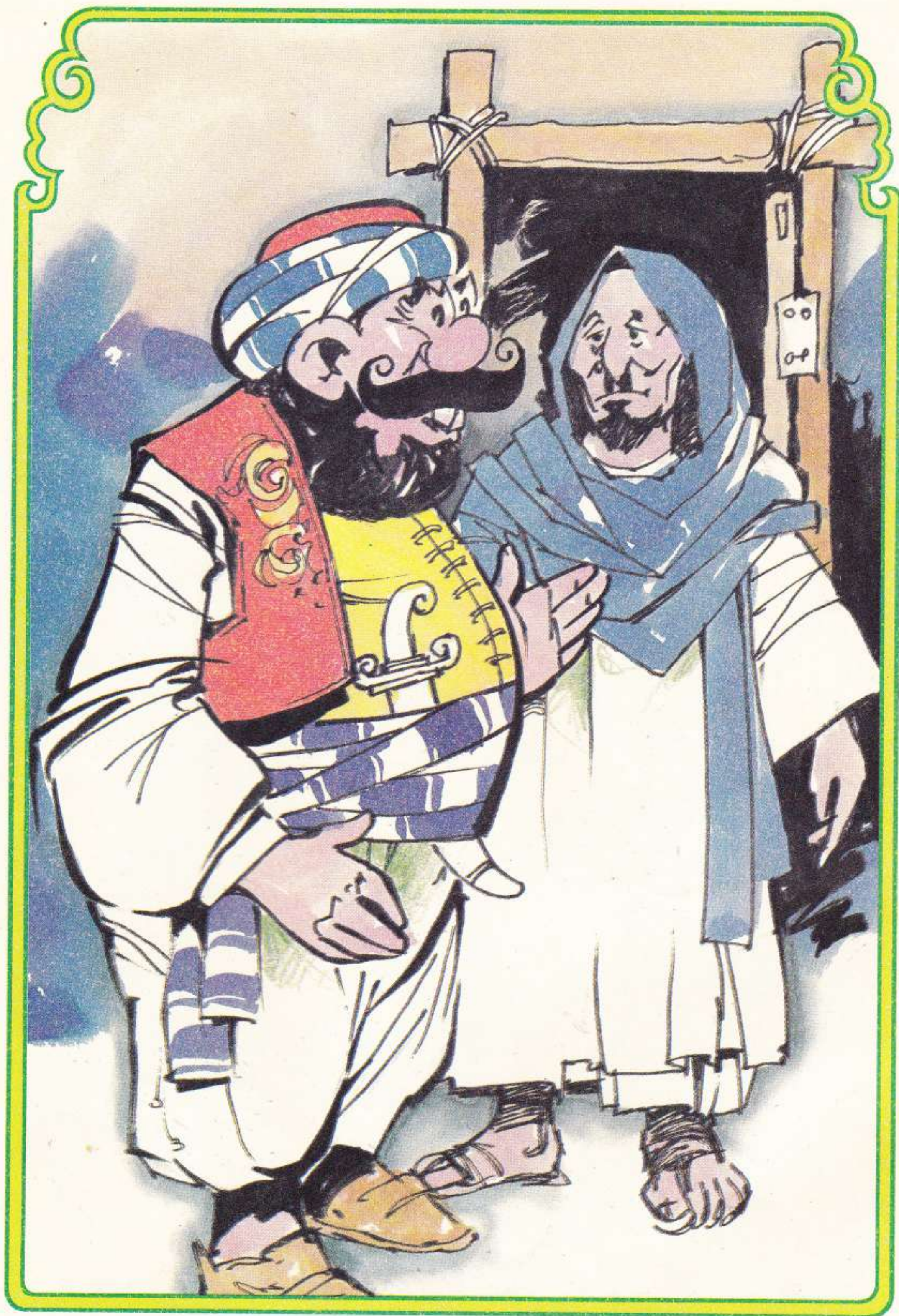
فَغَضِبَ الإِقْـطَاعِيُّ الثَّـرِيُّ وَقَـالَ: «هَؤُلَاءِ الأَغْـبِيَـاءُ.. سَـوْفَ أَذْهَـبُ إِلَيـهِمْ بِـنَفْسِـي، وأُضَاعِفُ لَهُمُ الثَّمَن».

وَخَـرَجَ الإِقْـطَاعِيُّ تَحْتَ البَـرْدِ والمَـطَرِ، وَطَـرَقَ بَـابَ أَوَّلِ كُـوخٍ مِنْ أَكْـوَاخِ الأُجَـرَاءِ الفُقَرَاءِ، وَعَرَضَ عَلَى صَاحِبِهِ شِرَاءَ مَا لَـدَيْهِ مِنْ خُبْـزٍ وَجُبْنٍ بِمِقْـدَارِ وَزْنِهِمَـا ذَهَبـاً.. أَوْ أَيِّ ثَمَـنٍ آخَرَ يَطْلُبُهُ صَاحِبُهُ.



وَلَكِنَّ الفَلَّاحَ الفَقِيرَ قَالَ: «يَا سَيِّدِي . . إِنَّ الذَّهَبَ لَنْ يَمْلَأَ بُطُونَ أَوْلَادِي بِالطَّعَامِ الآنَ . . وَلَوْ كَانَ لَكَ فَضْلٌ عَلَيَّ أَوْ كَانَ لَكَ دَيْنٌ سَابِقٌ فِي عُنُقِي، لَوَهَبْتُكَ طَعَامِي القَلِيلَ بِلَا مُقَابِلٍ . وَلَكِنَّكَ كُنْتَ دَائِماً تَطْرُدُنِي مِنْ أَعْتَابِ بَيْتِكَ، وَتَمْنَحُنِي بَدَلَ الطَّعَامِ سَبًّا وإِهَانَةً. وَالآنَ إِذْهَبْ فَلَيْسَ لَدَيَّ أَيُّ طَعَامٍ لَكَ».

فَانْصَرَفَ الإِقْطَاعِيُّ وَهُوَ يَرْتَعِدُ مِنَ الغَضَبِ، وَهُوَ يَتَوَعَّدُ الفَلَّاحَ بِعِقَابٍ شَدِيدٍ عِنْدَمَا تَتَحَسَّنُ الأَحْوَال. وَعِنْدَمَا طَرَقَ بَابَ كُوخِ فَلَّاحٍ أَجِيرٍ آخَرَ. وَثَالِثٍ. وَرَابِعٍ. سَمِعَ الإِقْطَاعِيُّ الكَلِمَاتِ نَفْسَهَا مِنَ الفَلَّاحِينَ الأُجَرَاء، وَكُلِّ سُكَّانِ القَرْيَةِ الفُقَرَاء.



وَعَـادَ الإِقْطَاعِيُّ الثَّرِيُّ إِلَى قَصْـرِهِ العَـظِيمِ وَهُوَ يَرْتَعِدُ مِنَ الغَضَبِ. وَفِي القَصْرِ تَسَـاءَلَ ضُيُوفُهُ مُنْـدَهِشَينَ عَمَّا أَخَّـرَ الطَّعَـامِ. فَأَخْبَـرَهُمْ الإِقْـطَاعِيُّ الثَّرِيُّ بِمـا حَدَثَ، فَـأَصَابَهُمْ ذُهُـولٌ عَـظِيمٌ. وَعِنْـدَمَـا حَـاوَلُـوا العَـوْدَةَ إِلَى بُيُـوتِهِمْ وَقُرَاهُمْ، اسْتَحَالَ عَلَيْهِمْ مُغَادَرَةُ القَرْيَـةِ، بِسَبَبِ المَطْرِ الَّذِي حَـوَّلَ المَكَانَ إِلَى مُسْتَنْقَعَاتٍ وأَنْهَارٍ يَسْتَحِيلُ اجْتِيَازُهَا.

وَأَوْشَـكَ بَـعْضُـهُمْ عَـلَى الغَـرَقِ تَـحْتَ المَطَرِ، وأُصِيبَ بَعْضُهُمُ الآخَرُ بِالبَرْدِ وَالمَـرَضِ وَقَالُوا جَمِيعاً: «لَيْتَنَا مَا غَادَرْنَا بُيُوتَنَا الدَّافِئَةَ الآمِنَةَ وَجِئْنَا إِلَى هٰذَا المَكَانِ».

وعَادُوا إِلَى القَصْرِ العَظِيمِ وَهُمْ يَرْتَعِـدُونَ مِنَ الغَضَبِ وَالبَرْدِ، وَلاَ يَدْرُونَ ما يَفْعَلُونَ.



وَمَـرَّ وَقْتٌ. وَجَـاءَ الصَّبَـاحُ، ثُمَّ المَسَـاءُ التَّالِي. وَصَاحِبُ القَصْـرِ العَظِيمِ ، وَضُيُـوفُهُ مِنَ الكِبَـارِ والعِـظَامِ لاَ يَجِـدُونَ مَـا يَمْـلأُونَ بِـهِ بُـطُونَهُمْ مِنْ طَعَامٍ ، وَلاَ مَـا يَسْتَـدْفِئُـونَ بِـهِ مِنْ حَـطَبٍ وَنَارٍ. حَتّى أَصَـابَهُمْ ضَعْفٌ كَبِيـرٌ لِشِـدَّةِ جُــوعِهِمْ، واشْتِـدَادِ البَــرْدِ عَلَيْهِـمْ، وَكَــادُوا يَهْلِكُونَ.

وَأَحسَ الإِقْطَاعِيُّ الثَّرِيُّ بِـالبَرْدِ والجُـوعِ يَطْحَنَانِهِ. فَشَعَرَ بِنَـدَمٍ شَدِيـدٍ عَلَى كُلِّ مَـا فَعَلَهُ مِنْ قَبْل. وَامْتَلأَتْ عَيْنَاهُ بِالـدُّمُوعِ وَرَفَـعَ وَجْهَهُ إِلَى السَّمَاءِ بَاكِيـاً وَقَالَ: «سَـامِحْنِي يَا رَبِّي فَقَـدْ كُنْتُ ظَـالِماً قَـاسِياً، لاَ تَـأْخُذُنِي رَحْمَـةٌ بِفَقِيرٍ أَوْ مَـرِيضٍ . . . جَـوْعَــانَ أَوْ بَـرْدَانَ. . وَالآنَ فَقَطْ نَدِمْتُ عَلَى ما فَعَلْتُ، وعَـرَفْتُ كَيْفَ تَكُونُ آلاَمُ الفُقَرَاءِ والأُجَرَاء» . . .



وَفَجْـأَةً انْفَتَحَتْ أَبْـوَابُ قَصْـرِهِ وَدَخَـلَ مِنْهَـا سُكَّـانُ القَـرْيَـةِ مِنَ الفَـلاَّحِينَ الفُقَرَاءِ، حَـامِلِينَ فِي أَيْـديهِمْ طَعَـامَهُمُ القَلِيـلَ، وَبَعْضَ الحَطَبِ. فَأَوْقَدُوا النَّارَ فِي المِدْفَأَةِ الكَبِيرَةِ، ودَعَوا صَـاحِبَ القَصْـرِ العَـظِيم وَضُيُـوفَـهُ إِلَى طَعَـامِهِمْ وَنَـارِهِمْ قَـائِلين: «فَلْتَـأْكُلُوا مِنْ طَعَـامِنَـا الفَقِيـرِ وَتَسْتَدْفِئُوا مِنْ حَـطَبِنَا القَلِيـلِ، فَمَا كُنَّـا نَسْتَطِيـعُ مُشَاهَدَةَ إِنْسَانٍ جَائِعٍ، وَلاَ نَمُدُّ لَهُ يَدَنَـا بِالـطَّعَامِ وَالعَوْنِ، بِالرُّغْمِ مِنْ أَنَّنَا فُقَرَاءُ أُجَرَاءُ لاَ نَمْلِكُ إِلاَّ أَقَلَّ القَلِيل».

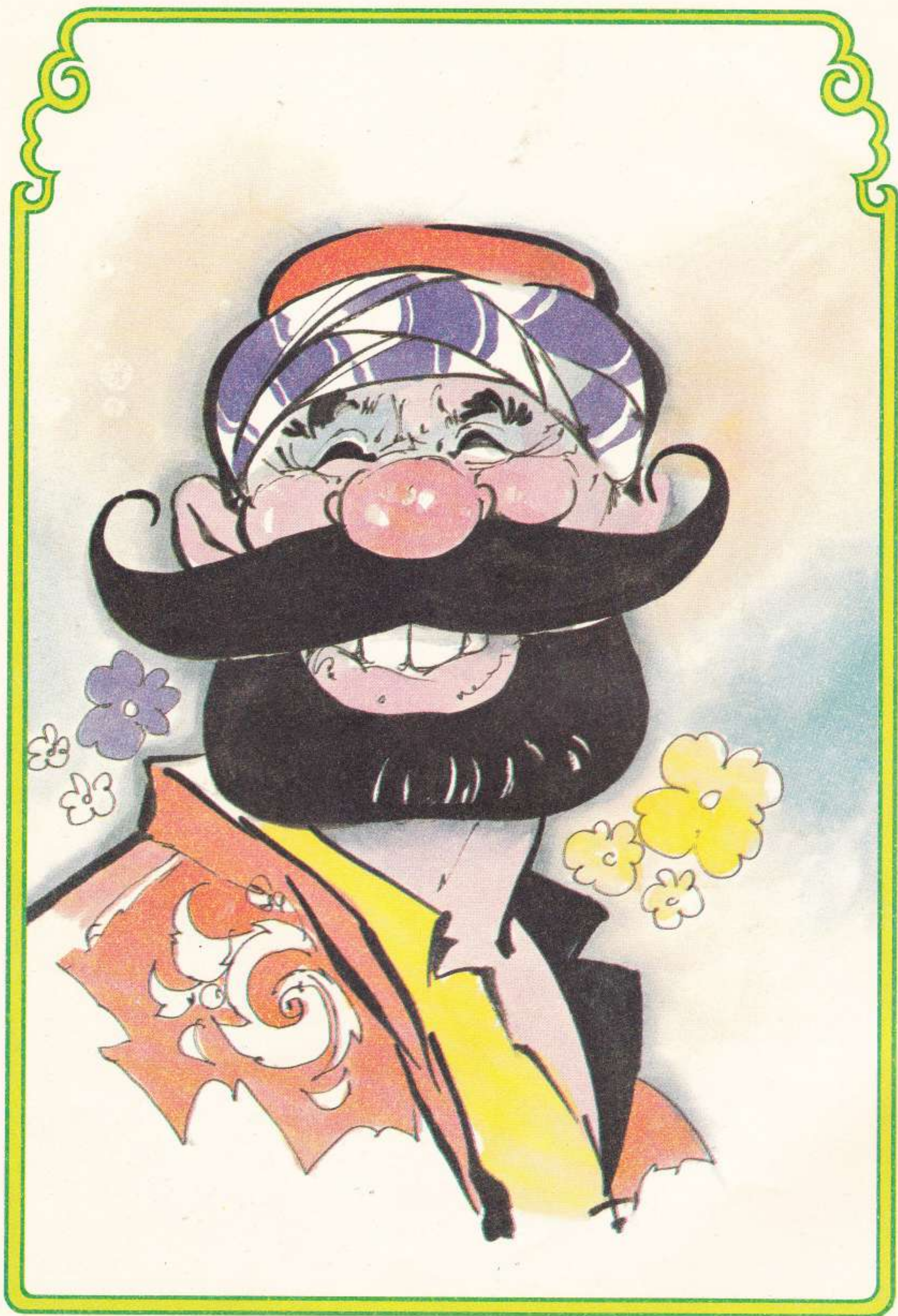
فَامْتَلأَتْ عَيْنَا الإِقْطَاعِيِّ بِـالدُّمُـوعِ وَقَالَ: «شُكْـراً لَكُمْ أَيُّهَا الفَـلاَّحُـونَ الـطَّيِّبُـونَ.. لَقَدْ عَلَّمْتُمُونِي دَرْساً لَنْ أَنْسَاهُ طَوَال حَيَاتِي».



وَفِي الحَالِ تَحَوَّلَتِ الحِجَارَةُ فِي القَصْرِ العَظِيمِ إِلَى طَعَامٍ وَشِوَاءٍ فَوْقَ النَارِ: عُجُولٌ وَخِرَافٌ وَدَجَاجٌ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ مِنْ قَبْلِ. وَاشْتَعَلَتِ المِدْفَأَةُ بِالحَطَبِ الكَثِيرِ مَرَّةً أُخْرَى. فَابْتَهَجَ الإِقْطَاعِيُّ وَقَالَ: «الحَمْدُ لِلَّهِ، لَقَدْ عَادَ كُلُّ شَيْءٍ كَمَا كَانَ».

وَعِنْدَمَا أَرَادَ الفَلَّاحُونَ والفُقَرَاءُ وَالأُجَرَاءُ الانْصِرَافَ، تَمَسَّكَ بِهِمُ الإِقْطَاعِيُّ وَقَالَ لَهُمْ: «لَنْ تُغَادِرُوا قَصْرِي قَبْلَ أَنْ تُشَارِكُونِي طَعَامِي وَشِوَائِي.. تَمَاماً مِثْلَ بَاقِي ضُيُوفِي مِنَ الكُبَرَاءِ».

وَمُنْذُ ذَلِكَ الوَقْتِ تَغَيَّرَ الإِقْطَاعِيُّ الثَّرِيُّ وَتَبَدَّلَتْ طِبَاعُهُ، وَلَمْ يَعُدْ يَطْرُدُ مِنْ بَابِهِ فَقِيراً أَوْ أَجِيراً، أَوْ يَمْنَعُ طَعَامَهُ أَوْ كِسَاءَهُ عَنْ إِنْسَانٍ مُحْتَاجٍ...



أسئلة وأجوبة

الدَّرسُ العَظِيم

١ ـ في فَهْم القصَّة

ـ لخّص القصَّة بأسطر قليلة:

....

....

....

ـ هل طَرْدُ السائلِ عملٌ مشكور؟ لماذا؟

....

....

ـ ما رأيك في السؤال (الاستعطاء ـ الاستجداء) هل هو فضيلة في الإنسان؟ لماذا؟

....

....

ـ ما هو البديل عن السؤال؟

....

....

ـ لماذا عاد الأجراء وأعطوا الأغنياءَ طعامَهُم وحطبَهُم؟

....

....

ـ هل الشعور مع الغير مما تأمر به أدياننا السماوية؟

....

....

ـ ما هي العبرة التي تستنتجها من هذه القصة؟

....

....

٢ ـ في اللغة

ـ أعطِ معاني المفردات التالية:

ـ ثريّ: .... ـ الولائم: ....

ـ يتبلّغ بها: .... ـ أذهلهم: ....

ـ استحال: .... ـ توعّد: ....

ـ ارتعد: .... ـ الأجراء: ....

ـ أعطِ الأضداد لكل من المفردات التالية:

ـ ملأ: .... ـ اتَّسَخَ: ....

ـ ذلّ: .... ـ وهبتك: ....

ـ الثريّ: .... ـ يرفضون: ....

ـ قلق: .... ـ اشترى: ....

ـ استخرج من القصة خمس تعابير جميلة أعجبتك:

ـ ....

ـ ....

ـ ....

ـ ....

ـ ....

ـ اكتب مما يلي جملاً مفيدة:

ـ كثيراً ما: ....

ـ وحدث أن: ....

ـ ما لبث أن: ....

ـ عندما: ....

ـ ما الذي: ....

ـ إن كلّ: ....

٣ ـ في القواعد

ـ حوِّل المقطع الأول من القصة إلى المثنى:

....

....

....

....

ـ أين خبر «كان» في ما يلي:

ـ كان قصره يقع: ....

ـ كان لإقطاعيٍّ ثريٍّ قصرٌ عظيم: ....

ـ كان يطرده شرَّ طردةٍ: ....

ـ استخرج من القصة ستة ألفاظ مبتدأ مع خبرها:

ـ .... ـ ....

ـ .... ـ ....

ـ .... ـ ....

ـ في المقطع الأول من القصة ورد فعل «كاد» بالمضارع.

ما هو فعل «كاد» وما هي خصائصه؟

....

....

- **أعربِ ما يلي:** فَتَحَ الخدمُ أبوابَ القصرِ

- فَتَحَ: ....

....

- الخدمُ: ....

....

- أبوابَ: ....

....

- القصرِ: ....

....

٤ ـ في التعبير

ـ استعمل أصبح وأمسى بمعنيين: فعل ناقص، وفعل تام:

ـ أصبح (فعل ناقص): ....

ـ أصبح (بمعنى صار في الصباح): ....

ـ أمسى (فعل ناقص): ....

ـ أمسى (بمعنى صار في المساء). ....

ـ ألِّف جملاً مفيدة مما يلي:

ـ مَنْ (اسم شرط): ....

ـ مَنْ (اسم موصول): ....

ـ مَنْ (اسم استفهام): ....

ـ ما (اسم شرط): ....

ـ ما (اسم موصول): ....

ـ ما (اسم استفهام): ....

ـ ما (النافية): ....

ـ ضَعْ ما يلي في جمل مفيدة:

ـ حدَث: ....

ـ حادث: ....

ـ حَدَثٌ : ....

ـ حديث : ....

ـ محدِّث : ....

٥ ـ في الإنشاء

رأيت على شاطئ البحر صياداً يصطاد السمك بالشبكة. صفه واذكر الأعمال التي كان يقوم بها.

....



....

....

....

....

....

....

مَكْتَبَة العُصْفُور الصَّغير